من قيد إلى قيد

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور

« سرقة من خزانه الملك ! »

ذهبت هذه الصيحة تطوى المدينة طيا . لابد أن يقبض على السارق حتى لا يصيب قائد الحرس أذى

لا يغيب عن مصرى واحد ، إن هـذه الدماء عزيزة على نفسه عزة دمائه عليه ، وأنه لن يستريح له بال ولن يهدأ له خاطر حتى يثأر لها من أعدى أعداء الإنسانية والمروءة والرحمة من قراصنة العـالم ، ومجرمى الحروب ، وقطاع الطرق . . . أحفاد بريطانيا

وكأنى بالقاهرة المدللة النشوى لم تستيقظ بعد ، ولم يطن فى أسماعها التى أصمها اللهو والصخب دوى الرصاص على قنال السويس ، فهى لا تزل سادرة فى عبثها ولهوها ، ومجونها وصخبها ، وكأن شيئا لم يحدث فى بقعة من أعز بقاع مصر . . هى هى كما كانت من قبل ملاهيها وحاناتها وسهراتها ، حتى الإذاعة المصرية (النائمة) لا تزال تفرض على الشعب المنكوب الأغانى الساقطة والموضوعات التافهة ، والتمثيليات الهزيلة ، والفكاهات المنكرة

ألم تكن هذه الفترة الخطيرة المتأججة كفيلة بأن تحمل القاهرة على الحد من شرورها ؟ واللاهى والمسارح والحانات والسهرات على الحد من غلوائها ؟ والأذاعة البلهاء على الحد من سفسافها ومهازلها ، إجلالا لهذه الدماء المصرية التى أهرقت فى سبيل مصر ؟

بهيجة الشناوى

سكرتيرة جامعة السيدات المسلمات بالقاهرة

وكان فاجارسن قد هبط إلى الثغر غريبا عن أهله ليبيع جياداً فى المدينة ؛ فسقط عليه عصبة من اللصوص سلبته كل ما كسب ، والجأته إلى أطلال معبد خارج أسوار البلدة . فألقوا عليه التهمة ، واقتادوه مغلالا إلى السجن مجتازين به شوارع المدينة

وكانت « شيـاما » المتجبرة ذات الجمال الفتان جالسة فى شرفتها تطل فى تراخ على الجمع السـار . فإذا هى ترتعد فجـأة وتصيح بوصيفتها : « وا أسفا ! من ذلك الشاب ذو الوجه النبيل والجمال النورانى ؟ ذلك الذى يرسف فى الأغلال كأنه لص ؟ سلى رئيس الجند باسمى بأت به إلى »

وجاء رئيس الحراس بالسجين وقال لشياما :

ليس فى الوقت متسع لإجابتك ياسيـدتى إلى ما ترغبين ؛ فعلى أن أهرع إلى الملك إطاعة لأمره »

ورفع « فاجارسن » ـ سريعا ـ رأسه ، وصاح :

« من أغراك يا امرأة بأن تأتى بى من الطريق لتسخرى منى بفضولك العجيب ؟

فقالت شياما :

« أسخر منك ! إنه لحبيب إلى أن أنزع حلى فأضع مكانها أغلالك ! »

ثم التفتت إلى رئيس الجند وقالت :

« إليك كل ما ملكت يمينى وأطلقه حرا »

فانحنى الرجل وقال :

« ليس الأمر فى وسعى . لابد من ضحية نطلق بها غضب الملك »

فتوسلت إليه شياما قائلة :

« إننى لا أطلب للسجين غير مهلة يومين »

فابتسم رئيس الجند ووافق

وفى نهـاية الليلة الثانية من اعتقال فاجارسن رتل السجين سلواته ، وجلس فى اللحظة الأخيرة يكتب وإذا بالباب يفتح وبالمرأة تدخل حاملة فى يدها مصباحاً . ثم أشارت لقل الحارس وثاق السجين ، فقال الشاب :

« لقد جئت إلى بهـذا الصباح — أيتها المرأة الرحيمة —

كما يطلع الفجر بنجمة الصبح بعد ليلة حمى وهذيان »

وصاحت شياما :

« رحيمة حقا ! » وانفجرت ضاحكة حتى سالت من عينيها الدموع ، وصرخت قائلة :

« ليس بين أحجار هذا السجن ما هو أصلب من قلب هذه المرأة وأقسى . » وأمسكت بيد السجين فافتادته خارج الأبواب

* * *

أشرقت الشمس على ضفاف الفارونا ، وكان زورق على المرسى ، قالت شياما :

« تعال معي في هذا الزورق أيها الشاب الفارح ، وحسبك أن تعلم أني قطعت كل أعلالك ، وأني ملك في هذا القارب »

وانزلق القارب في هينة ولين ، وغردت الطيور في مرح وحبور ؛ وقال فاجارسن

« خبريني يا غرامي ! بأي ثروة اشتريت حريتي ؟ » فقالت شياما :

« هيه ! ... ليس الآن ... »

* * *

تكبدت الشمس السماء ، وعادت نساء القرية إلى دورهن وثيابهن تنز بعد الاستحمام ، وجرارهن ممتلئة بالماء ، وانفضت السوق فالتمع في الشمس طريق القرية الخالي ...

وهبت نفحات الظهر الدافئة فأزاحت النصيف عن وجه شياما ، فهمس فاجارسن في أذنيها :

لقد أخرجتني من ظل يزول إلى ظل يدوم مدى الحياة . ذوبني أعرف كيف فعلت ؟

فأسبلت المرأة النصيف على وجهها وقالت : ليس الآن يا حبيبي ...

* * *

وأغطش الليل ، وداح النسيم الوانى ، والتمع الهلال الطفيل على حواشي الماء ذي السواد الحديدي

وجلست شياما في الظلام ، ولراحت يدها على كتف الشاب ،

يصدر
عدد الرسالة
السنوي الممتاز
في يوم ٧ يناير
سنة ١٩٥٢

وغام شعرها بين ذراعيه وهمست في خفوت :

لقد أتيت من أجلك أيها الحبيب أمرا إدا ؟ بيد أن إخبارك به أشد وأقسى . لأكشفنه لك في كلمات قصار : لقد حل عنك أغلالك بوتيجا ، وهو في شفه الحب وأضناه الهوى ؛ وادعى الجريمة وأهدى إلى حيانه ... في سبيل حبك اقترفت ما اجترمت يا أعز حبيب !

كانت تتكلم والهلال الشاحب يضوى ويزول ، والطيور تأوى إلى أوكارها فتسلم الغابة لسكون عميق

وانسل ذراع الشاب في هدوء من حول خصر المرأة وتصلد الصمت من حولها واستحجر في الآذان ..

وجثت المرأة جاثية عند أقدامه ، وتعلقت بركبتيه صائحة :

فغفرانك أيها الحبيب فغفرانك ! دع القلب لله ؛ هو يجزيني على ما قدمت يداي !

وانتزع فاجارسن ساقيه بعيدا ، وصاح في صوت أجع :

تشترين حياتي بثمن الخطيئة ! لعنة الله على كل نفس من أنفاس حياتي !

وهب واقفا ؛ وقفز إلى الشط من القارب ، وغاص في ظلام الغابة ، وظل يسير ويسير حتى انقطع به الطريق ، واستوقفته الأدغال المتكاثفة والأشجار الملتفة

وجلس على الأرض مقعيا .. ولكن من هذا الذي تبعه في صمت طوال الطريق المظلم ، والذي يقف الآن كالشبح وراءه !

وصاح فاجارسن : « هلا تركتني ! »

وهوت عليه المرأة في لحظة ، وأغرقته بدلها ، وغطته بشعرها المتهدل ، وأثوابها الجرارة ، وأنفاسها المتوددة ، وصاحت في صوت خنقته العبرات المحتبسة :

لا . لا . لقد اجترمت لأجلك فاقتلني إذا شئت ؛ دعني أموت بيديك !

ولارتعش ظلام الغابة الراسخ لحظه ؛ وسرى الرعب في جذور

الأشجار المتثاقلة فى جوف الأرض وارتفعت تحت جناح الليل آهة مكتومة ، وأنفاس مضطربة ، وسقط على الأوراق الذاوية جسد

***

توهجت شمس الصباح على مسلة المعبد البعيد ، وبرز فاجارسن من الغاب ، وظل النهار بطوله يهيم بجوار النهر صاليا بحرارة الشمس لا يفتر لحظة

وفى الليل ارتد إلى القارب على غير هدى ، فوجد على الفراش سوارا ، فقبض عليه وضمه إلى قلبه حتى أدماه ، وانبطح على الوشاح الأزرق المتكوم فى الزاوية فأخفى وجهه بين طياته وأراد أن يجتر من نعومة جريره ، وشذا عبيره ذكرى جسد حى حبيب ...

وترنح الليل فى صمت ثقيل راجف ، واختفى القمر وراء الأشجار ، ووقف فاجارسن مادا ذراعيه إلى الغاب مناديا :

« تعالى إلى يا غرامى ! تعالى إلى ! »

وانبعث من الظلام فجأة شبح وقف على شفير الماء . « تعالى إلى يا غرامى ! تعالى إلى ! »

« لقد جئت يا حبيبى ، ولم تستطع يداك العزيزتان إزهاق روحى ، قدر على أن اعيش »

وجاءت شياما ... ووقفت بازاء الشاب فنظر فى وجهها ، وتقدم خطوة ليضمها بين ذراعيه . ثم قذفها بكلتا يديه وصاح

« لماذا ؟ آه ! لماذا عدت ؟ »

وأغمض عينيه ، وأشاح بوجهه ، وقال

« اذهبى ... اذهبى ... دعينى »

ووقفت المرأة لحظة ، ثم ركعت عند قدميه وانحنت كثيراً . وهبت وعمت نحو الشط وغابت فى ظلام الغاب كحلم انبعث من نوم . وجلس فاجارسن فى القارب صامتاً وحده ، وقلبه يدمى

س . ع

ميلاد النبى

مسرحية شعرية

تأليف

محمد محمود زيتون

الناشر

لجنة النشر للجامعيين

تطلب من مكتبة مصر بشارع الفجالة ٦٣ والمكتبات الشهورة

الثمن ٤٠ قروش

مصلحة التنظيم

تقبل عطاءات لغاية الساعه ١٢ ظهر يوم السبت ١٢ ـ ١ ـ ١٩٥٢ عن توريد ١٢٥ طن فحم كوك

ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم يضاف إليه مبلغ ٨٠ مليم أجرة البريد .

وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الخمسين مليما

٢٠٢